(٢-٣)

عظيم يتطلع إلى المستقبل

عنصراً هاماً في مسار الشعوب وعظمتها.. ولكن القاعدة الثابتة في شعبنا أن هذا الشعب أقوى من أي قيادة وأصلب من كل قيادة القادة السابقين والحاليين... وسيظل هكذا حتى مع القيادات القادمة..

وتمضي الأيام والقائد الفلسطيني لايكل.. يطوف العواصم العربية والعالمية الصديقة شارحاً موقفه ومدافعاً عن القرار الفلسطيني المستقل..

وفي تلك الفترة من العام ١٩٨٤م اتسعت شعبية أبوعمار لدى النخب المثقفة داخل الأراضي المحتلة.. لأن الفلسطينيين رأوا فيه أنه ارتفع بقضيتهم من مستوى «الارهاب» الذي يفتريه الاعلام الاسرائيلي والأمريكي بمنظمة التحرير الى المستوى الدبلوماسي الذي لقي احترام دول العالم..

وبذلك أكد أبوعمار قدرته وحنكته على كسب معركته..ماجعل الأوساط الاسرائيلية تقول عنها : «إنها فيما يبدو معركة الفلسطينيين كلهم لأنه- أي عرفات- يخرج بقوة جديدة لحركته» «فلسطين الثورة يونيو ٨٤».

رحل أبوعمار وأبقى القضية الفلسطينية حيَّة في قلوب العالم

عودة مصر الى الصف العربي

وظل عرفات يطوف العواصم العربية من أجل عودة مصر الى العرب وإنهاء القطيعة معها.. وكثيراً ماكانت الصحف العربية تنشر تحذيراته من مخاطر عزل مصر..

وحول هذا الموضوع تكتب مجلة التضامن في عددها ٢٤٢ الصادر في ١٩٨٧/١١/٢٨م فتقول: ظل عرفات وحده حاملاً دعوته بعودة مصر، مدافعاً عنها في وجه اشقائه ورفاقه في داخل الثورة الفلسطينية... هددوه وحاولوا عزله واقصاءه لدرجة أنه- أي عرفات- دخل تحت مظلة كامب ديفيد وكان يردد أمامهم قوله :«إن كامب ديفيد ماتت وشبعت موت» اسقطتها الجماهير المصرية العربية وأعلنت حكومة الرئيس مبارك أن كامب ديفيد انتهت بعد تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من سيناء... مشيراً الى أن الأمر كله بيد الشعب الفلسطيني ممثلاً بقيادته الشرعية منظمة التحرير..

إياك أن تستسلم

حكومة اسرائيل لم يعجبها ماقاله عرفات وردت بتصعيد أعمال القمع والتنكيل بالشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة ومن بين الاجراءات القمعية التي اتخذتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني القرار الذي اتخذته في ٢٨نوفمبر ١٩٨٧م باستخدام القبضة الحديدية على الشعب الفلسطيني.. وهو القرار الذي جاء بعد قمة عمان.. وكان الهدف من ذلك إخماد انتفاضة الحجارة التي توسعت وتواصلت بعنفوان غير عادي.. وكان عرفات في تلك الأيام يتواصل مع شعبه ورجاله داخل الأراضي المحتلة.. في حين كان قطاع غزة يتعرض لحصار جائر من أجل أن يركع الطفل الفلسطيني وأن تركع المرأة الفلسطينية..

ووسط ممارسة الضغط السياسي والعسكري والدبلوماسي والاقتصادي على الثورة الفلسطينية يتسلم أبوعمار رسالة من شعبه في غزه تقول: «نحن نجوع.. ولكن إياك يا أباعمار أن تستسلم.. إياك إياك أو تساوم»..

عشية انتفاضة ٨٧م

وقبل أيام قليلة من اندلاع «انتفاضة الحجارة» في الأراضي الفلسطينية المحتلة شهدت الساحة العربية خلافات وتناقضات عربية- عربية كما تحولت الاهتمامات نحو قضايا أخرى ملحة منها إعادة ترتيب البيت العربي واجراء مصالحات عربية- عربية والتمهيد لعودة مصر في ظل قيادة الرئيس حسني مبارك الى الصف العربي، الأمر الذي دفع بالموضوع الفلسطيني الى المرتبة الثانية.. في وقت كانت فيه «حرب المخيمات» في لبنان لاتزال على ضراوتها بهدف ضرب النفوذ السياسي الذي تتمتع به منظمة التحرير الفلسطينية بين أبناء المخيمات «راجع مجلة اليوم السابع ٥ديسمبر ٨٨».

بيد أن زخم المواجهة للاحتلال أعاد القضية الفلسطينية الى موقعها الطبيعي في سلم الاهتمامات والدعم الوطني العربي.. وتجلى ذلك الاهتمام مع انعقاد القمة العربية الـ ١٤ في عمان في ٨ نوفمبر ١٩٨٧م فعشية تلك القمة كانت الأراضي المحتلة تشهد أعنف الاصطدامات بين الشعب الفلسطيني وجيش الاحتلال في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة.. في اشارة مهدت كما عرفنا فيما بعد الى اندلاع انتفاضة الحجارة لمواجهة جديدة مع الاحتلال الذي لم يكن يرد إلا بالتصليب السياسي والميداني... فقبل ذلك بأيام وتحديداً في السابع من ديسمبر كان عرفات يؤكد في جنيف: «إن الحقيقة الفلسطينية الراهنة متكاملة ومتفاعلة إيجابياً مع الحقيقة الدولية المعاصرة وأن الصهيونية باتت تشكل خطراً متنامياً على السلام في العالم، مما يعني أن كل دعم يقدم للنضال العادل للشعب الفلسطيني هو دعم للنضال من أجل السلم العالمي»..

وفي اكتوبر من ذلك العام أكد عرفات في موسكو التي زارها: أن أهداف النضال الفلسطيني تنسجم انسجاماً تاماً مع روح العصر ومع التوجه الرئيسي لسير الأحداث في الساحة الدولية..

مشيراً الى أن الأراضي المحتلة ستشهد موجة جديدة من الكفاح والنضال في سبيل إقامة دولته المستقلة بعاصمتها القدس.. وعودة اللاجئين الى وطنهم.

ثورة الحجارة المقدسة

وحتى مطلع ديسمبر ١٩٨٧م، لم يكن أحد يتوقع أن الثامن من الشهر سيحمل ذلك الانفجار الشعبي الهائل في الأراضي المحتلة في وجه الاحتلال وفي وجه أي تسوية لاتتضمن حق تقرير المصير، ففي ذلك اليوم الذي أرخ به بداية الانتفاضة الشعبية كما بشر بها عرفات.. بدأت تظهر التأييد العربي في حين كانت الاقلام الاسرائيلية ومعها بعض الأقلام العربية والأمريكية تتساءل عن علاقة منظمة التحرير بالانتفاضة...

ولهذا اختارت القيادة الفلسطينية بزعامة عرفات صنعاء مكاناً لاحياء الذكرى الثانية لاندلاع «انتفاضة الحجارة» في التاسع من ديسمبر ١٩٨٩م..

يومها تحدث عرفات أمام الحشد الجماهيري في المركز الثقافي بالعاصمة نحو ٤٥ دقيقة استعرض كل مايتصل بالقضية الفلسطينية ووصف يومها «اعلان عدن الوحدوي التاريخي» بانه أجمل وأروع هدية يقدمها الشعب اليمني للانتفاضة المجيدة مؤكداً أن ثورة الحجارة المقدسة ستستمر سنوات حتى انتزاع الحقوق الفلسطينية.. والذي مايعجبوش يتذكر الوحدة اليمنية» قال عرفات والذي أضاف بمرارة:ما إن انطلقت الانتفاضة إلا والاقلام الاسرائيلية والغربية وبعض الاقلام العربية مالهاش شغل سوى أب وأم الانتفاضة وكأن هؤلاء نسوا التراث الثوري التي أشعلته الجماهير الفلسطينية.. كان لازم يسقط أبوجهاد وأخسر أبوجهاد علشان تؤمن هذه الجماهير بانها ثورة.. وحتى يقول شامير قتلت أبوجهاد لكي تتوقف الانتفاضة .. وأن منظمة التحرير وراءها.»

رصاصة السلام

وكان عام ١٩٨٨م أهم سنوات نضال عرفات رغم استشهاد أبوجهاد رفيق أول الرصاص وأول الحجارة كما قال فيه في الدورة الـ١٩للمجلس الوطني المركزي المنعقدة بين ١٢- ١٥نوفمبر ١٩٨٨م ، حيث أعلن أبوعمار ميلاد الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.. ولأول مرة أعلن قبول الفلسطينيين لدولتين متجاورتين «فلسطينية» و«اسرائيلية» وفقاً لقرارات الشرعية الدولية.

وبذلك أطلق عرفات رصاصة هجوم السلام الشامل والعادل.. في وقت كان فيه دائم التواصل مع قيادة الانتفاضة في الاراضي المحتلة ويديرها بالتلكس والراديو.. ويوجهها بالرسائل المفتوحة التي تبثها الاذاعات وتنشرها مجلة فلسطين الثورة والصحافة العربية مع دخول الانتفاضة شهرها الجديد..

ويرجع كريم بقرادوني سر نجاح أبوعمار الحقيقي الى أنه يمتلك موهبة القيادة ويتميز بشخصية متعددة الوجوه والطاقات اتاحت له أن يصبح عن جدارة رمز شعب ومقاومة.. بعقله الثوري يشرف على الأعمال العسكرية والانتفاضة... وبعقله المخابراتي يحلل المعلومات ويدير العمليات الأمنية والسرية.. وبعقله الاقتصادي ينمي قدرات الفلسطينيين ويحضر لمقومات الاقتصاد الفلسطيني في المستقبل... وبعقله الاعلامي يحرك الرأي العام الفلسطيني والعربي والعالمي.. وبعقله السياسي- وهو الأهم والأشمل- يعمل من أجل اقامة دولة فلسطينية على أرض فلسطين يكون هو رئيسها وتكون القدس عاصمتها..

وبنظرته الثاقبة للأحداث والتطورات وواعية بالتحولات الاقليمية والدولية كان أبوعمار رجل الحرب والسلام يقرأ المستقبل ويتنبأ بما تحمله الأيام.. وفي خطابه في صنعاء في ديسمبر ١٩٨٩م قال: «إن الاعصار والبركان لن يتوقف بعد خروجنا من بيروت.. وأن المنطقة تتجه بسرية نحو الحرب.. لأن منطقة الشرق الاوسط هي الوحيدة المشحونة بأسلحة هائلة بينها ماهو ذري وماهو كيماوي..

وأن انهيار جدار برلين سيؤدي لامحالة الى هدم الجدار الاسرائيلي ضد السلام.. وهو ماكان وإن تراجعت اسرائيل ومعها الولايات المتحدة بعد مؤتمر مدريد عام١٩٩٠م، ليصل الأمر الى الوضع الراهن.. ليبقى السؤال الكبير: ماهو مستقبل القضية الفلسطينية ومصير التسوية بعد رحيل عرفات؟

الاجابة طويلة وتحتاج الى تناوله أخرى إن شاء الله.

عرفات: الوحدة اليمنية أعظم هدية لانتفاضة الحجارة... وكلمات أخي الرئيس علي عبدالله صالح كانت بلسماً.

جماهير غزة عام ١٩٨٧م: نحن نجوع.. ولكن إياك يا أباعمار أن تستسلم أو تساوم.

عرفات كان يدير الانتفاضة بواسطة التليكس والراديو...

عرفات الانسان

كثيراً يحزن
كثيراً يغضب
كثيراً جدا يضحك
نادراً جداً ان يرقص

وفي صنعاء قبل انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني بين ١٢ و١٥ نوفمبر ١٩٨٨م ،امرأة من الشعب .. زوجة أو أخت مقاتل وجهت امراً للقائد العام قم يزلمة .. قم ياختيارنا .. وارقص .. !

تلقى القائد أمراً بالفرح من امرأة فلسطينية فانصاع للأمر فرحاً .

هذا مانشرته مجلة «فلسطين الثورة» في عددها الصادر يوم ١٩٨٨/١١/٢٧م مرافقا لصورة ملونة شغلت صفحة من الغلاف ويعدو الرئيس الفلسطيني عرفات في زيه العسكري وهو يشد بيده اليمنى جزءاً من الكوفية الفلسطينية الى أعلى مبتسما وهو يرقص الدبكة الفلسطينية .

هذه لقطة تعكس العديد من سجايا عرفات الذي عرفناه سياسياً ولكن ثمة جوانب عديدة تظهره كإنسان متواضع ومتسامح.

يروي كريم بقرادوني زعيم حرب الكتائب اللبناني الذي عايش أبو عمار حيثما كان في لبنان الكثير من صفات الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات نوردها في السطور التالية كما نشرت في مجلة فلسطين الثورة عام ١٩٨٩م :

ملبسه غاية في البساطة أصبح الكاكي جزءاً من جلده والكوفية جزءاً من صورته الفلسطينية والعربية والقبعة العسكرية جزءاً من كفاحه المسلح ، والقبعة الروسية جزءاً من علاقاته مع الدول الاشتراكية ،لايجدد ثيابه ويستعملها حتى تبلى غير أنه يحرص على نظافتها الدائمة وقد شاهدته مرة يخيط زر قميصه بيده .

وكان – أي عرفات – يطوع نفسه ويقهرها ويعودها الابتعاد عن الملذات ،لم يفطر في رمضان يوماً واحداً ولو كان في الخندق أو على سفر أو في حالة مرض، لايدخن ولايشرب الكحول ويأكل قليلاً واشهى الاطباق لديه الجبن والعسل ،وطالما ردد: لا تدخلوا السكر الى الجسم انه سم » لم يحدث أن تناول الطعام بمفرده وكثيرا مايشاطر حرسه ومرافقيه المأكل والمشرب .

يعتني بضيوفه بشكل خاص ويغالي في تكريمهم ، ويهتم بكل واحد بمفرده فيوجه اليه كلمة ملاطفة أو على الاقل التفاتة أو ابتسامة ، يقدم بيده الاطباق وفق العادات العربية الأصيلة وكثيرا ما تحولت مائدة الطعام الى طاولة اجتماعات .

وقد شاهدته يوقع قراراً أو يطلع على تقرير أو يصدر أمراً أثناء الاكل كما صادف أن تناولت معه في بيروت الطعام الذي كان الجيران يعدونه له وكان يفخر بأنه طعام الشعب ويخبرني بأن جماعته كثيراً ما حذرته من مغبة تناوله لأسباب أمنية وكان جوابه : «هؤلاء الفقراء الطيبون لن يغدروا بي أبداً » .

الحقيقة أن هذا الرجل الصلب المعدن الذي صقلته المتاعب والمصائب يخفي شخصية مرهفة تؤثر وتتأثر ،بكى في العلن عدة مرات : عند اغتيال أبو حسن سلامة عام ١٩٧٩م ومقتل السفير الفرنسي في لبنان لوي دولامار عام ١٩٨١م وأمام المشاهد المصورة عن مجزرة صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م وعن استشهاد أبو جهاد عام ١٩٨٨م وهو قادر بالحرارة نفسها على أن تدمع عيناه لرؤية يتيم أو شهيد ، وفي الوقت ذاته أن يصدر أمراً بتصفية عدو أو اعدام خائن .

بمقدورك أن تشكك في كل مزايا ياسر عرفات الا واحدة .

فهو أبرع إعلامي في العالم ،الكلمة لديه بأهمية البندقية والحركة الاعلامية توازي الحركة العسكرية، في نظره كل سياسي لايتقن الاعلام يبقى محدود التأثير وفاشلاً .

ويؤكد أهمية الكنيسة في الاعلام الغربي والمساجد والائمة في الاعلام العربي والاسلامي.

أول الاعلام هو الاتصال بالناس .. الكل يحادثه مباشرة وهو يوافق على استقبال الجميع ،انه الرجل المباح .. لاحياة خاصة له ،يدخلون عليه وهو يأكل أو يعمل أو يستريح . لا أعرف زعيماً سواه يلتقي هذا العدد من الاشخاص في اليوم الواحد . وكل يوم على مدار السنة . ولا أتذكر قائداً يسافر هذا القدر من الرحلات وكان العالم مداه الحيوي .